

القُيُودان وإِسْعاها الاقْتِصادي المتوسّطي من خِلال النقود

خالد بن رمضان،

مدير بحوث، معهد التراث، تونس.

أنجبت البلاد التّونسية على امتداد تاريخها الطّويل رجالا اضطلعوا بأدوار بارزة وأثروا الحضارة الإنسانيّة وبلغوا منازل السّبق والتّألق في ما أبدعوه من روائع النّصوص وفي قيم الآثار الماديّة والأعمال الفنيّة. وتستلهم المدوّنة الثّقافيّة والفنيّة خصوصيّاتها من الموقع الجغرافي التّونسي المطل على البحر الأبيض المتوسط والرّابط بين إفريقيا والمشرق العربي وهمزة وصل بين المشرق والغرب. وإن مراحل التّاريخ التي تعاقبت على البلاد التّونسيّة متعدّدة بدأت ببروز حضارة أمازيغيّة عريقة هيأت الأرضيّة الملائمة لتعاقب حضارات متتاليّة من فينيقيّة وهلينيّة نوميدية وإفريقيّة رومانيّة ومسيحيّة بيزنطيّة عرفت أثناءها إنتاجا ماديّا وفكريّا وفنّيّا غزيرا ومتنوّعا بلغ من الثّراء والتميز ما أهّلها إلى نبوء أعلى مراتب التحضر⁽¹⁾.

(1) ابن رمضان خالد، النقود التّونسية عبر التاريخ، نشر البنك المركزي التّونسي، تونس 1993.

وتمثل مراحل تاريخها مغامرة جماعية متميزة فريدة أثارت اهتمام العرب في أواسط القرن السابع الميلادي ليجعلوا منها عاصمة لقاطعتهم بالشمال الإفريقي والغربي المتوسطي بإنشاء مدينة القيروان التي حكمت ديار الدين الناشئ الإسلام باسم الخلافة الأموية الشرقية. وما تزال أطوار هذه حقبة تثير الاهتمام والرغبة في بحث العناصر المكونة لها وفهم رموزها وخفاياها. وقد تبدو هذه العملية يسيرة في ظاهرها لكن إنجازها لا يخلو من الدقة والصعوبة لشمولها ميادين تراثية مادية ومصدرية كثيرة تختلف في خصوصياتها وتباين في مرجعياتها ومراحلها وتطوراتها الزمنية والمكانية.

والملاحظ في هذا المجال هو ضآلة عدد البحوث التي لا تتجاوز بعض النبذ المختصرة الواردة ضمن أعمال المعمة في التاريخ العربي المغربي⁽²⁾. ويرجع ذلك لأسباب عدة نذكر منها خاصة عدم توفر الظروف البشرية والمادية للقيام بجمع موروث ضخمة وذلك رغم تعدد المشاريع الثقافية الكبرى من طرف المنظمات العربية وفشلها إلى الآن في مهامها الأساسية والمتمثلة في التعريف بهذا التراث وحمايته.

فدراسة المجموعات العديدة والمتنوعة المحامل كالرق والكاغد والحجر والجلد والمعدن ونقود والنسيج والعظم والخزف المنقوشة بكتابات دينية وتذكارية وشاهدية وفنية وغيرها⁽³⁾ هي في الواقع محل اهتمام مجموعة من

(2) العجايبي حامد، جامع المسكوكات العربية بإفريقية، تونس 1989

FARRUGIA DE CANDIA, J., Monnaies aghlabites du Musée du Bardo, *Revue Tunisienne*, 1935, pp. 271-287; premier supplément, 1936, pp.179-189; deuxième supplément, *Cahiers de Tunisie*, 1956, pp. 95-118 ; Monnaies Fatimites du Musée du Bardo, *Revue Tunisienne* 1936, pp. 333-372 ; 1937, pp. 89-136; premier supplément, 1948, pp. 103-131.

(3) أنظر في المحاولة : فنون تونسية، تونس وزارة الثقافة، 2004.

الباحثين الغربيين أو المستشرقين انكبت على جمع مدونات للمخطوطات والنقائش العربية صلب معاهد بحث وجامعات عديدة.

وفي خضم الاحتفال بالقيروان كعاصمة إسلامية والتعريف بخصائص موروثها الفكري المادي لا يختلف إثنان في الإشارة إلى أن الحقل المعرفي الراجع للحضارة القيروانية لا يزال يشكو من ضالة الأبحاث والدراسات المواكبة لأحدث النظريات في المجال المعرفي و تكمن الأسباب أساسا في توجيه البحث وجهة علمية معمقة من شأنها أن تمنح الدارسين المادة اللازمة لبناء خطاب بعيد عن التأويلات التقليدية التي خضعت لها الدراسات السابقة الراجعة إلى قناعات إيديولوجية تكرّس النماذج البالية المتداولة حتى الآن.

ورجوعا إلى موضوع المسكوكات القيروانية وبشكل خاص إشعاعها المتوسطي الاقتصادي يجب القيام بلمحة تمهيدية تشتمل على أهم خصائص القطعة النقدية وهي :

- وظيفتها الأساسية،

- نصوصها المنقوشة كالأسماء والألقاب والتواريخ والمأثورات الدينية باعتبارها تكتسي صبغة رسمية لا يمكن الطعن فيها،

- اعتبارها وثيقة تكشف عن أحداث سياسية وإيديولوجية وفنية

- اعتبارها مصدرا وثيقا للحياة الاقتصادية عند النقصي في تطور الأوزان والمعايير (4)

ويمكن إخضاع كلّ هذه المحامل النقدية لمناهج علمية وتكنولوجية حديثة بغية تثمينها من عدة زوايا تساهم في إثراء المعطيات الصحيحة المتوفرة لدينا.

(4) حول موضوع السكة الإفريقية في العهد الوسيط، دراستنا :

Contribution à l'étude des monnaies de l'Ifriqiya médiévale, Tunis 2008.

ومن أجل إبراز هذا الإشعاع المتوسطي الاقتصادي بالقيروان علينا أن نذكر أنه تم إصدار عملات ذهبية وفضية وبرنزية بكميات وفيرة من قبل الأمويين والعباسيين والأغالبة والفاطميين وولاتهم الزيريين وهي عامة عملات جيدة فرضت في المبادلات التجارية لما تتمتع به من خصال في القيمة: نقاوة العيار وثبات الوزن.

فما هي خصائصها من حيث العدد والمعادن الثمينة المستعملة والعيارات التي بحوزتنا إثر القيام بتحليل للتركيبة المعدنية للدنانير.

لقد تم إجراء تقييم هذه السكة الإفريقية من خلال معظم ما نشر إلى حد الآن وتتوزع حصيلة المعلومات حسب التوزيع الكمي والمعدني بالطريقة التالية (5):

العهد/ المعدن	ذهب	فضة	نحاس
الأمويون	67	-	48
قبل التعريب	7	84	-
بعد التعريب التام	-	219	?
العباسيون	799	97	?
الأغالبة	306	9	?
الفاطميون	242	26	-
الزيريون			

(5) المراجع المستعملة هي أساسا :

- AL-AJJABI (H.), *Ġāma' al-maskūkāt al-'arabiya*, Tunis 1989.
 ABDELWAHAB (H.H.), *Monnaies Arabes de Tunisie*, Publications B. C. Tunisie, 1968.
 LANE-POOLE S.), *Catalogue of the collection of arabic coins, Khedivial Library at Cairo*. London 1897.
 - *Catalogue of oriental coins*. Vol. V, London 1888 ; vol. X, London 1890.
 LAVOIX (H.), *Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale : Espagne et Afrique*, Paris 1881.

1- في فترة الفتوحات استعملت النقود الذهبية والبرونزية : ذهب 67 وبرونز 48 وذلك قبل سنة 100 هـ/719م. سنة التعريب التام.

وعند فتح العرب أرض المغرب ظهرت النقود الذهبية من ضرب الولاة على نمط السكة البيزنطية أي بنقائش لاتينية ثم زيد عليها نقائش عربية 97 هـ./716 بصفة تدريجية يطول شرحها وأخيرا عربت تماما سنة 100 هـ./719 على نمط النصف الدينار الأموي الدمشقي قبل أن تنضم إلى بقية الإمبراطورية الأموية وتخضع إلى النظام المالي السائد.

- الانتقال من حضارة قديمة تأصلت جذورها منذ قرون عدة إلى حضارة جديدة - وكانت النقود التي أصدرها موسى بن نصير من الذهب والبرونز يقوم بسكها موظفون وعملة بيزنطيون هي بحوزة العديد من مجموعات أكبر المتاحف العالمية والتي تعد حوالي 114 قطعة منها 85 ذهبية والمتبقية برونزية.

- وقد أمر موسى بن نصير على خلاف ما كانت تحمله النقود البيزنطية بحذف أي رمز مسيحي ونقش كتابات لاتينية دينية إسلامية في شكل مختصر على وجه النقود:

وهي الشهادة. *NON EST SNISIIPSE SOL CISP* وهذه طريقة مقتضبة ل *NON EST DEUS NISI IPSE SOLUS CUI SOCIUS* = لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ومجمل هاتين المأثورات هي عبارات إسلامية تؤكد على فكرة التوحيد الإلهي وكلمات قرآنية نقشت بطريقة مقتضبة.

- نلاحظ أن المأثورات تجمع عددا من العبارات الراجعة إلى أسماء الله الحسنى :

Omnipotens : omnipotent, : الكلي القدرة أو القدير

omnium creator : créateur de tout الخالق لكل شيء

Vivificus (cans) : vivifiant المحيي

Omnium sapiens : omniscient العليم

eternus : éternel الأزلي

misericors (dis) : compatissant الرحمن

unus : unique الوحيد

magnus : grand العظيم⁽⁶⁾

2- مرحلة سيطرة الفضة طوال القرن الثاني في العهد الأموي وفي عهد
الولاة العباسيين

3- ظهور الدنانير في العهد الأغربي والعهد الفاطمي الإفريقي والدولة
الزيرية

أما فيما يخص دور الضرب التي أمنت إصدار هذه النقود⁽⁷⁾ فهي
التالية :

(6) أنظر ما جاء في:

WALKER, J., A catalogue of the Arab-Byzantine and post-reform Umayyad coins,
London 1956

(7) دراستنا، pp. 580-600. Contribution à l'étude des monnaies de l'Ifriqiya... op. cit.,

الفترة	دور الضرب	التاريخ
فترة الإنتقالية	AFRICA	آخر ق 1 هـ/بداية ق 8 م
الأموية	إفريقية	117 هـ / 735 م.
العباسية	إفريقية	151 هـ / 768 م.
الأغلبية	إفريقية	-
الفاطمية	القيروان المهدية المنصورية	296 هـ / 908 م. 309 هـ / 921 م. 338 هـ / 949 م.
الزيرية	المنصورية (صبرة) مدينة عز الإسلام والقيروان	441 هـ / 1049 م.

تؤكد هذه الدراسة على وجود مراحل متباعدة في اللجوء إلى معادن معينة دون غيرها في ضرب النقود والتي لها صلة بحاجيات التيارات التجارية المحلية والكبرى والإمكانات المعدنية المتوفرة.

ومن أهم الأشياء التي تأخذ بعين الاعتبار هي عيار القطعة النقدية ومدى نقاوتها التي لا بد أن تكون خالصة أي قريبة من 24 قيراطا حسب ما يقتضيه الشرع ويستوجبه الميدان المالي. فلنأخذ على سبيل المثال سكة الجانب الغربي المتكون من شمال إفريقيا والأندلس طوال الحكم الأموي وهي منطقة تعيش نمطا جديدا من الإدارة والمعاملات من حيث توجيه الأنشطة الاقتصادية نحو الشرق. وأصبحت السكة الجديدة ذهبية كانت أو فضية متداولة في كل الأرجاء تحظى بثقة مستعمليها.

وسنبرز قدر الإمكان الخصائص التقنية للسكة القيروانية ومدى إسهامها في إرشادنا على النهضة الحضارية التي عرفتتها منطقة الغرب الإسلامي والمتوسطي في العهد الوسيط الأول وذلك من خلال التغيرات المسجلة في عيار

الدينار وهي القطعة النقدية الخاصة بالتجارة الكبرى - قيمة وكما - وهذا لا يفي تعوضه بالدرهم ان اقتضت الضرورة ذلك.

والسؤال المطروح هو ما يمكن استنتاجه من دراسة السكة في دور ضرب القيروان من خلال عياراتها ؟

وقد تم اللجوء خلال الشطر الثاني من التسعينات بهذا العمل إلى تحاليل معدن الذهب الغير مدمرة لما لا يقل عن 110 ديناراً باتخاذ طريقة تستعمل الطاقة النووية والمتواجدة في فرنسا بمدينة أورليان (Orléans) (8).

ولنا أن نشير إلى أن النتائج المتحصل عليها تكتسي صبغة صحيحة لا مجال للشك فيها (9). والهدف من هذه التحاليل هو معرفة عيار الدينار أولاً ؛ وهو مؤشر للظروف الاقتصادية والسياسية ثم مصدر معدن الذهب - بلاد السودان.

الفترة	العيار
الفترة الانتقالية	60.59 - 90.50
الأموية	98.44-99.58
العباسية	غياب الذهب
الأغلبية	93.78 - 99.12
الفاطمية	93.4-99.0
الزيرية	84.2 - 97.9

8) Méthode LA-ICP-MS (spectrométrie de masse à plasma inductif couplée à l'ablation laser) présente l'avantage de mesurer un grand nombre d'éléments présents à côté de l'or à de très basses teneurs dont le groupe des platinoïdes.

9) Ehrenkreutz (A.S.), Studies in the Monetary History of the Near East in the Middle Ages : The Standard of Fineness of some Types of Dinars, *J.E.S.H.O.*, 1959, pp. 128-161. " , Studies in the Monetary History of the Near East in the Middle Ages, II : The Standard of Fineness of Western and Eastern Dinars before the Crusades, *J.E.S.H.O.*, 1963, pp.243-277. Messier (R. A.), The Almoravids :West African Gold and Gold Currency of the Mediterranean Basin, *J.E.S.H.O.*, 1974, pp. 31-47. Oddy (W.A.), The gold contents of Fatimids coins reconsidered, p. 99-118.

• العيار الأموي الخالص : 99 و 58. 99 مع احتوائه على كمية ضئيلة من النحاس. وهو ذهب بيزنطي مر بعملية تصفية (تعليق ...) يرجع الفضل فيه إلى سياسة الخليفة هشام الذي توخى مركزية الضرب في مدينة واسط (114-732/735). وبالتالي توقفت دور ضرب إفريقية عن إصدار الدنانير. وترك المجال للأمصار لضرب دراهم تحمل أسماء ولايتها.

• وفي فجر الفترة العباسية، استخدم الولاة السكة الفضية وحدها وضربت الدراهم العباسية بصفة مستمرة تحمل أسماء الولاة من بني الفهر (127-140 هـ./744-757) وبني المهلب (155-177 هـ./771-793). فخراج إفريقية في عهد هارون الرشيد كان يقدر بـ 14 ملايين درهم. والغريب في الأمر أن الكنوز التي عثر عليها في بلاد القوقاز تحتوي على قسط كبير (80%) من الدراهم الإفريقية المضروبة في القرن الثاني للهجرة.

ولنا أن نتساءل عن مصادر هاته الفضة : هل هي متأتية من معادن المغرب الأقصى أم هي أندلسية أم هي تأتي من الغرب المسيحي ؟

وفسر هذا التبادل التجاري بين الغرب الإسلامي وشرق أوروبا بوجود علاقات تجارية بين أفراد العائلة المهلبية تحت ولاية يزيد بن حاتم - من قبيلة بني أزد - بالبصرة التي كانت تضطلع بدور محوري في الطريق التجاري الشمالي الأوروبي. ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن إباضي تاهرت وأدارسة فاس وصفري سجلماسة وأموي الأندلس يشاركون في هذه التجارة - الفضة - دون أي اعتبار لخلافاتهم المذهبية. ونضيف إلى هذه المعلومة أن الطريق الشمالي المذكور يبلغ الأطراف الجنوبية للبلاد السكندنافية إذ أتيحت لنا الفرصة لمشاهدة كنوز دنانير أغلبية في متحف العهود الوسطى بستوكهولم بعاصمة السويد وهي غير مدروسة (10).

10) NOONAN, T.S., Ninth-century dirham hoards from European Russia: a preliminary analysis, *Viking-Age Coinage in the Northern Lands*. London, 1981, p. 149.

• وبداية من القرن الموالي أي منذ بداية العهد الأغلبي ضربت الدنانير في القيروان مع استعمال إفريقية، أي مصر إفريقية كولاية لا تزال تحت سلطة الخليفة العباسي. عاشت القيروان ظروفًا سياسية واقتصادية عامة ملائمة وخصوصًا بعد غزو صقلية. أضفت تحاليل دنانيرها هذه الفترة (184-297 هـ. / 800-909) بعبارات متواضعة في أول الأمر 93,78 % - أضعف عيار من لبين قطعة نقدية 22 - وسرعان ما ارتفع العيار إلى نسبة متراوحة بين 96 و 99 % إلى سنة 230 هـ. / 844.

أما الفترة الموالية لعهد الأغلبية المتصفة بالمضطربة : من جرّاء الجفاف وارتفاع الأسعار (266 هـ. / 879)⁽¹¹⁾، الغزوات الطلونية (267 هـ. / 880 م.)، ثورة الدراهم (275 هـ. / 888) وأخيرًا الثورة الفاطمية، فلم تؤثر هذه العوامل على نقاوة العيار لديناري سوى شيئًا طفيفًا وبالتالي لا يتعدّى 98 % وهذا راجع إلى عامل هامّ متمثّل في التجارة الصحراوية المؤدية إلى بلاد السودان وذهبه المطلوب من ما بين نهري النيجر والسنغال بواسطة القوافل تاهرت وسجلماسة البربرية الخارجية.

وخير دليل على ذلك ما نسوقه من مثال في الحقل التجاري والمبادلات المتوسطية عن رواج السكة الإفريقية هي فئة الربع دينار التي تسمى بالرباعي وفي الوثائق اللاتينية *tarinus* (القرن العاشر م) وهي كلمة مقتبسة من العربية طري، يقصد منها طراوة الذهب الصّافي⁽¹²⁾.

ولهذه التسمية قصة امتدت إلى القرن الثامن عشر ميلادي. حيث مرت بعهد النورمان بصقلية الذين ضربوا الرباعي مزدوج اللغة خلال القرنين

(11) ابن العذاري، البيان المغرب، ج. 1، ص. 119.

(12) Stern, C., Tari, *Studi Medievali*, 1970, pp.177-207.

الحادي والثاني عشر وعقبهم في ذلك وعائلة هوهنشتاوفن (Hohenstaufen) وأخيرا أضحى وحدة وزن.

• وتعتبر إقامة الدولة الفاطمية من أهم ما عاشته القيروان كعاصمة اقتصادية إذ لعبت دورا هاما في المبادلات التجارية بعد سيطرتها على الطرق الجنوبية الصحراوية الضامنة للتزود بالذهب من بلاد السودان وهو عامل فعال خول رواج سكة ذهبية أصبحت رمزا للسياسة التوسعية الفاطمية التي لا تخف نواياها لاحتلال مصر كمحطة هامة ليشمل سلطانها كامل الشرق.

واشتهر العصر الفاطمي بالغنى والثروة - إضافة نشاط القرصنة المتوسطية و تأسيس مدينة المهديّة 308 هـ. / 921 م - وهي المرحلة الأولى في الرّحيل من القيروان وإفريقية - وراجت دنائير الفواطم بكميّات كبيرة وامتازت بجودة عيارها الذي يفوق 97%.

وفي في جزيرة صقلية، ساهمت العائلة الكلبية (948-1052) كرابط بين أفريقيا وأوروبا رافدا مهما لانسياب الحضارة والمؤثرات العربيّة إلى أوروبا.

ومثلما أشرت إليه بالنسبة إلى فترة الأغلبية فإنّ الفترة الفاطمية عرفت بلوغ كميات كبيرة من السكّة الذهبية من ربايعات والفضية - خرايب - وأصبح التعامل بها عاديا في جنوب إيطاليا مثل المدينة أملفي Amalfi التي ضربت سكة ذهب على نمط السكة الفاطمية ذات النقطة في المركز (القرن التاسع إلى أوائل القرن الحادي عشر) وهي صنف الرّباعي المسماة pseudo- coufiques لكن عيارها منخفض جدا يبلغ 50%. وهي في الواقع ميناء تجاري نشيطا في الغرب المسيحي طوال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين حيث تجارة العبيد والخشب الموالية للفاطميين بسفنها عند غزوهم لمصر.

ولم تنحصر المبادلات التجارية القيروانية على أوروبا الجنوبية بل شملت الإمبراطورية الكارولنجية التي حكمت أوروبا من عام 750 حتى القرن العاشر. وإلى جانب العملة البيزنطية من صنف الصولدوس كانت النقود الإسلامية رائجة في شتى أنواع المعاملات من عقود ووصايا لدى العائلات الإنكليزية والإيطالية⁽¹³⁾.

وتذكر السكة الإسلامية الخارجة من دور الضرب العباسية والأموية الأندلسية والأغلبية والفاطمية الإفريقية أو الصقلية في هذه المصادر اللاتينية تحت تسمية *solidi mancussi* أو *mancus* وهي مقتبسة من العربية الدينار المنقوش إشارة إلى غياب تماثيل فيها⁽¹⁴⁾.

• وبعد مغادرة الخليفة الفاطمي المهديّة 362 هـ/972، ليستقر في عاصمته الجديدة القاهرة، وبعد تعيين العائلة الزيرية الصنهاجية لولاية إفريقية، يستقر العيار الإفريقي في نقاوة % 97 (خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين) ثم ينهار إلى 84 و% 85 وهو عيار ينبؤ عن بتدهور الأوضاع الاقتصادية وفقدان السيطرة على الطرق الصحراوية الجنوبية (توزر - طرابلس - تاهرت - ورقلة - غدامس - تدمكة) والغربية (سجلماسة أودغسط). يضاف إلى ذلك تفكك روابط الطاعة للفاطميين التي بغلت ذروتها عند رفض الزيريين للمذهب الشيعي من قبل المعز بن باديس فيما بين سنتي 441 هـ و446 هـ/1049م-1054م.

وفي الختام، وبعد هذا التقديم لجانب من تاريخ إفريقية، يجدر بنا أن نتوقف لحظة لنبدي بعض الملاحظات أو التساؤلات التي تطرح نفسها قصد الوصول إلى فهم أعمق من خلال ما أوحاه لنا تعليقنا السريع لنتائج التحاليل

13) Whitelock, D.W., *Anglo-Saxon Wills*, Cambridge 1930.

14) Grierson, P., *The Myth of The Mancus*, *Revue Belge de philologie*, 1954, pp. 1059-1074.

لعيار الدنانير فنقول إنّ الفتح العربي لمنطقة شمال إفريقيا شكّل منعرجاً تاريخياً لا مثيل له في كنف دولة امتدت أرجاؤها من جبال البرني إلى جبال البامير تلاحمت فيها كل أمصارها في ظل حكم مركزي واحد أعطى لها تنظيمًا وحيوية لم تعرفها من قبل الأمر الذي جعلها تفرض حقها كقوة سياسية تعاضم نفوذها حتى انتهت إلى الهيمنة على المنطقة المتوسطية رغم منافسة كبيرة من قبل البيزنطيين.

بنى العرب إمبراطوريتهم بفضل قوة عسكرية برية وبحرية هائلة تحمي جميع محطاتها التجارية ومسالحتها الاقتصادية. والجدير بالملاحظة أنّ المال أدّى دوراً هاماً بالنسبة إلى المجتمع أو الطبقة الحاكمة الغنية منه. لقد بدا جلياً استحالة إبقاء الحكم بين يدي السلطة المركزية وضرورة استقلال الأمصار البعيدة مثل إفريقيا ولكن دون التخلّي عن نمط الإدارة والمعاملات من حيث توجيه جميع الأنشطة الاقتصادية نحو الشرق واختيار عاصمة القيروان التي تتمتع بأحد رموز السلطة المتمثل في السكة ذهبية كانت أو فضية ولم يطرأ عليها أيّ تغيير من حيث الشكل والمحتوى اللذان يعكسان مدى ازدهار الحضارة الأغلبية ثمّ الفاطمية كلّ هذا جعل من القيروان مصدر إشعاع للجهة المتوسطية الغربية على ضفتيها ومتعمّقة في القارة الإفريقية تعمقا جعلها المنفذ المفضل للقارة السمراء وممتدة شمالاً في مواجهة أوروبا ومتصلة بالشرق عبر القوافل البرية أو السفن البحرية العربية ثم الأوروبية.

كانت إفريقية تشارك في المبادلات الاقتصادية خلال كامل الفترة العربية للمنطقة المتوسطية لا كمنتج فحسب بل وأيضاً كرابط بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي. لقد كانت إفريقية معنية منذ وقت مبكر جداً بالثورة الزراعية الإسلامية وخصوصاً منذ إدخال زراعات جديدة. فكل الزراعات كانت جيدة وتزود التجارة بمنتجات تبادلية مربحة. نذكر على وجه الخصوص العلاقات الاقتصادية ذات الارتباط العريق مع وسط القارة الإفريقية السمراء وهذا ما وفرّ مادة الذهب وضربت بها نقود وصنع المصوغ وأعدت السبائك. وقد أفادت

كل هذه السلع وجعلت القبروان في ما بين القرنين الثاني والخامس الهجريين محطة أفادت الكثير من التجار الشرقيين والغربيين من المسلمين وكذلك من التجار الإيطاليين الذين تهافتوا على أسواق ومواني إفريقية بحثاً عن الربح والمغامرة نحو الوجهة الجنوبية والشرقية بحثاً عن زيت الزيتون والجلود والصوف والعسل والحريز والتبر مقابل الخشب والمعادن والأنسجة وغيرها.

ونظراً لأهمية موقعها الجغرافي، فإنّ هذه المنطقة لم تسلم من الموجات العاتية التي حدثت من ازدهارها بداية من نهاية القرن العاشر/النصف الثاني من القرن الخامس والتي أظنّب في تفسيرها البعض بقدم القبائل الهلالية خطأ حيث :

- انتقال الفاطميين إلى مصر بثروات البلاد وتحويل وجهة التجارة الصحراوية عن إفريقية،
- القرن الخامس/ القرن الحادي عشر، قرن الجفاف والمجاعات،
- ظهور الدولة الحمادية كمنافسة للوالة الزييرية،
- رجوع السيطرة الحرة للمسيحيين،
- الغزوة الهلالية وتزامنهما مع الأزمة الاقتصادية الحادة والاضطرابات السياسية والاجتماعية التي صاحبتهما،
- انتقال مركز السلطة الكبرى إلى غرب الشمال الإفريقي، وانبعثت قوة جديدة في القرون التالية أرجعت ازدهار الجهة في إطار إمبراطورية منيعة مرابطية فموحدية ثم حفصية أعادت للجهة مجدها.